قرامطة البحرين

أشد الحركات المعارضة ضراوة في

القرامطة بدأوا بالدعوة للعدالة

تعتبر القرمطية ويعتبر القرامطة[1] بكل المقاييس من أشد الحركات المعارضة للخلافة العباسية ضراوة فى فترة ليست بالقصيرة بدأت فى العقد التاسع من القرن الثالث الهجرى . ويعتبر قرامطة البحرين وهم جناح كبير وهام فى هذه الدعـوة احدى القوى المؤثرة التى ساهمت فى سير الأحداث فى الدولة الاسلامية فى تلك الفترة ، لقد نبعت القرمطية من الاسماعيلية ولكنها تحـولت لتشن الحرب عـلى العباسيين والاسماعيليين والفاطميين . ورفع زعماؤها شعار العدالة الاجتماعية وبناء المجتمع المثالى ولكنهم تحولوا الى ممارسة الارهاب والتقتيل والحكم بالحديد والنار . وبدأ علماء القرمطية بـالاعتماد عـلى العقل والمنـطق ولكنهم انتهوا الى الاغراق فى الخرافات والتنجيم وعبادة الفرد .

وفى جزيرة أوال كانت بداية النهاية .. وعلى يد أبى البهلول تحدد مصير أعتى الجماعات وأشدها وطأة فى التاريخ الاسلامى .

---

(١) قرمط : تعنى مقاربة الخطوات بعضها ببعض وتعنى انحرف او مال كما فى القاموس فهم المنحرفون وفى الآرامية تعنى المعلم السرى . وفى القبطية تعنى الأحمر او احمر العينين .

أنا للـــه وللـــه أنــا
يخلق الخلق و أفنيهم أنا
(ابوطاهر القرمطى)

القرنين الرابع والخامس للهجرة

وانتهوا بممارسة الإرهاب والقتل وهدم المساجد

لا يستطيع أى باحث فى حركة القرامطة الا أن يعترف بأن البحث فى هذا الموضوع بالغ الصعوبة فعلى الرغم من وفرة المصادر الا ان الحقيقة تكاد تكون خافية وسط الكثير من المعلومات التى يقدمها المؤرخون والكتاب والأدباء والشعراء سواء من الذين أيدوا القرمطية وروجوا لها ودعوا اليها أو الذين تصدوا لها وكشفوا بعض أسرارها وحذروا منها فبالاضافة الى ما أحاط به زعماء الحركة القرمطية ـ أو زعماء الاسماعيلية التى انبعثت القرمطية منها ـ دعوتهم من الغموض الشديد فان الذين أيدوها بالغوا كثيرا فيما أضفوه عليها من الملامح التى قد يكون بعضها صحيحا ولكن أغلبها بالتأكيد غير صحيح والذين عارضوها كذلك وصموها بالكثير من السوءات التى قد يكون معظمها صحيحا ولكن بعضها بالتأكيد غير صحيح فلماذا غابت الحقيقة حول حركة القرمطية وازداد غموضها ؟ ولماذا لم يترك زعماؤها ما يحدد ملامحها كدعوة انبعثت من التشيع أو ألحقت به ؟ سؤال مطروح أما الجواب فقد يكون فى :

أولا : الاسماعيلية والقرمطية التى انبعثت منها نشأت كدعوة سرية معارضة للخلافة العباسية .. وقد كانت تحركات زعمائها على الدوام تحت الأرض وامتازوا بالسرية الشديدة والتنظيم المحكم الدقيق الذى مكنهم رغم المطاردة الشديدة والمتواصلة من جيش الخلافة أن يستمروا فى دعوتهم وأن ينقلوها وينشروها لأكثر من مكان وقد برع زعماء الاسماعيلية والقرمطية فى التخفى والتنكر وانتحال العديد من الأسماء والصفات ولم تكن حقيقة شخصيتهم لتعرف الا للقليلين جدا من أهل الثقة وممن يستدعى تنظيم الدعوة اماطة اللثام لهم عن هذه الشخصية . بالاضافة الى ان هؤلاء الزعماء كانوا على الدوام كثيرى الترحال لا يستقرون فى مكان حتى يتفادوا الاهتداء اليهم .

ثانيا : الاسماعيلية والقرمطية قامت على الباطنية وكان زعماؤها يأخذون بالتأويل فهم يؤمنون بأن لكل ظاهر باطنا وان ظاهر آيات القرآن قد يكون متاحا للعامة أما باطن الآيات والمعانى المؤوله فكانت حكرا على هؤلاء الزعماء وقلة ممن بلغوا أعلى المراتب فى سلم الدعوة وبغض النظر عما جاءوا به فى تأويلهم من معان تبعد كل البعد عن حقيقة الاسلام فانهم ماكانوا ليضعوا ذلك فى كتب تتداولها أيدى العامة وانما كان اسلوب تعليمهم هو التلقين والحفظ وحتى الكتب القليلة التى وضعت تعتبر ـ وحتى الآن ـ من الأسرار الشديدة الخفاء وقد واجه كثير من العلماء صعوبات بالغة وصلت لحد التعرض للخطر فى محاولة العثور على بعضها .

وهنا يطرح سؤال آخر هو لماذا اذن توارت الحقيقة وسط الكم الهائل من المادة المكتوبة قديما وحديثا حول الموضوع .

والجواب هو ان لذلك اسبابا بلا شك منها :

أولا : القرمطية دعوة سرية ، وأى دعوة سرية تعتمد بالدرجة الأولى على الدعاية والدعاية فى مثل هذه الحالة لابد أن تكون براقة وشديدة الجاذبية وكأى دعاية لابد أن تدخلها بعض الأحلام أو الأكاذيب أو المبالغات وذلك هو ما نطالعه فى الكثير مما كتب بأقلام المتشيعين للقرامطة والداعين لهم والمدافعين عنهم بالاضافة الى ان المتشيعين للقرامطة ممن ربطوا أنفسهم بهذه الدعوة وأتيح لهم الاطلاع على طرف من أسرارها لم يكن أيا منهم يجرؤ فى ظل ما عرف عن الدعوة من دموية ولجوء الى العنف لحماية نفسها ـ على أن يتعرض من قريب أو بعيد . لما يمس الدعوة أو يسىء اليها أو يكشف بعض حقائقها التى لا ترى زعامتها الكشف عنها .

ثانيا : القرمطية قامت سرية واستطاعت بعد أن اشتد عودها أن تدوخ جيوش الخلافة لفترة من الزمن ليست قصيرة وكان طبيعيا أن تجرد الخلافة

لمحاربة الدعوة كل امكانياتها العسكرية والفكرية ومن هنا أنبرى الجانب الآخر من الكتاب والمؤرخين والأدباء والشعراء لشجب هذه الدعوة ومهاجمتها وهم بلاشك تعرضوا أيضا بوعى أو بغير وعى للمبالغة فماذا بقى بعد ذلك أمام الباحث ؟

ان التصدى لمثل هذا الموضوع وهو أمر ضرورى باعتبار القرامطة يمثلون حلقة لا يمكن اغفالها فى تاريخ البحرين فقد أقاموا فيها دولة استمرت سنين طويلة نقول ان التصدى لمثل هذا الموضوع لابد رغم ضرورته أن يكون بالغ الصعوبة وشديد الحساسية وقد يكون اللجوء الى تلمس منطق الحوادث وتحليل بعض الأخبار المتواترة هو الاسلوب الأمثل لمعالجة مثل هذا الموضوع . وهنا لابد من الاشارة الى بعض الحقائق .

أولا : لاشك ان القرمطية جاءت بأشياء كان يفتقدها بعض سكان الأقاليم المتطرفة فالذى لاشك فيه ان المقيمين فى الأطراف لم يكونوا يتمتعون بالثراء ولا الرفاهية التى كان يعيش فيها الآخرون فى قصبة الخلافة أو المدن المزدهرة وقد استطاع القرامطة استقطاب مشاعر الكثيرين من العرب فى بعض المناطق البعيدة عن الخلافة سواء فى البحرين أو اليمن وعزفوا لهم على وتر حساس يرفع دائما - وحتى الآن - كشعار وسط بعض المجموعات وهو توزيع الثروة والتلويح بعالم مثالى .

ثانيا : لاشك أيضا ان القرامطة استطاعوا فى البداية أن يؤسسوا نماذج فى بعض المناطق حرصوا فيها أن تكون نموذجا لما يلوحون به من أحلام فوزعوا الثروة ونشطوا الصناعة ومنحوا القروض وخلقوا شبكة دقيقة من الاتصالات استخدموا فيها - ببراعة شديدة - الحمام الزاجل مما أتاح لهم سرعة التحرك وسرعة تحريك النجدات والمعونات من مكان لآخر فى المناطق التى سيطروا عليها .

ثالثا : من المؤكد أيضا ان القرمطية نبعت من الاسماعيلية أو هى احدى أجهزة الاسماعيلية العسكرية وان الاسماعيلية كانت لها أهدافها الاستراتيجية وهى القضاء على الخلافة العباسية واقامة دولة أخرى مكانها يتولاها الجناح الاسماعيلى من الشيعة .

رابعا : لم تسلم الاسماعيلية ولم تسلم القرمطية من أن يتسلل اليها الكثير من المبادىء والأفكار المستمدة من المزدكية والزرادشتية وبعض التأثيرات المجوسية وبعض العقائد الهندية القديمة وكلها تأثيرات فكرية تسللت للمنطقة عبر قنوات أعدتها بذكاء شديد التيارات المعادية للاسلام من ناحية وحملها فى تكوينهم الفكرى بعض الزعماء من غير العرب الذين شهدتهم زعامات الحركة واستمدوا تراثهم الفكرى من فارس .

خامسا : عندما بدأت القرمطية حملة الهجوم العسكرى على جيوش الخلافة سقطت كل الأقنعة فاختفى المجتمع

المثالى الذى بدأوا به وتحولوا الى الضراوة والاستبداد حتى بالاتباع الذين جمعوهم حولهم فى البداية وبدأوا يصبون حقدهم على المساجد والآمنين من المسلمين وكان من الطبيعى أن ينصرف عنهم الكثيرون وكان من الطبيعى أيضا أن تتلاشى دولتهم وتتبدد دعوتهم .

بدأت هذه الحركة فى الظهور فى العقد التاسع من القرن الثالث الهجرى وزعماء هذه الحركة البارزين الذين كان لهم الدور الرئيسى فى قيامها هم (حماد) (حمدون) قرمط الداعية (وزكرويه بن مهروية) الرأس المدبر ويمثله فى البحرين (ابو سعيد الجنابى)[٢] ثم ابناؤه من بعده وفى الشام اناط زكرويه الحركة بأبنه يحى بن زكروية بعد ان انتحل له اسما ونسبا ، فدعاه محمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين بن (على بن ابى طالب كرم الله وجهه) ولقبه بالشيخ وصاحب الناقة وبعد قتله تولى الأمر اخوه الحسين بن زكرويه وسماه احمد وكناه ابو العباس وأضفى عليه النسب ويكنى ابو شامة وسمى ابن عمه (المدثر) وآخر من أهله (المطوق) .

اسماء زنانة ونسب ينتمى الى آل البيت ومهدى منتظر جاء أوانه أمره الله وسلطه على رقاب الظالمين لينتقم منهم ويملأ الأرض عدلا وقسطا ، هذه أهم المبادىء الظاهرة التى بدأت بها الدعوة ، فهى دعوة باطنية تظهر غير ما تبطن ولكل مبدأ باطن ظرف وزمان يظهر فيه عندما تكون الظروف مناسبة لأظهاره ويختفى اذا دعت الظروف لاخفائه فالمسائل التى يعرفها الخاصة لا يمكن ان يطلع عليها العامة ، وحتى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه لها تفاسير ومعان ظاهرة يعلمها العامة ولها تفاسير ومعان لا يعرفها الا الخاصة .

هذه المبادىء والافكار لا يمكنها ان تترعرع وتنمو الا بين الأقوام الذين يسيطر عليهم الجهل الممتزج بشىء من الحقد والغضب على صاحب السلطان ، فصاحب الزنج الذى سبق القرامطة بدعوته استغل العبيد ونشر بينهم دعوته فتمكن الى حين من نجاح الدعوة ولكنها لم تلبث ان زالت وزال اثرها ، وهكذا مصير كل دعوة تشذ عن الطريق المستقيم ، فأين نشأت وترعرعت دعوة القرامطة واين وجدت المناخ الملائم لها ؟

ضعف الخلافة

الخلافة العباسية فى بغداد وقتئذ قد شاخت وهرمت واصبح الخليفة كما قال

---

(٢) جنابة وينتسب اليها سعيد الجنابي بالفتح ثم التشديد والف وباء موحدة وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس قال ياقوت رأيتها غير مرة وهي ليست على الساحل بل يدخل عليها في المراكب في خليج من بحر الملح يكون بين المدينة والبحر نحو ثلاثة أميال أو أقل وقبالتها في وسط البحر جزيرة (خارك) وشمالها (مهربان) وربما تكون هي بندر غباس المعروفة اليوم ، انظر معجم البلدان ٢ / ١٢٣ .

الخلفاء العباسيين

	سنة هجرية	سنة ميلادية
١ - السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد	١٣٢	٧٥٠
٢ - المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد	١٣٦	٧٥٤
٣ - المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور	١٥٨	٧٧٥
٤ - الهادي أبو محمد موسى بن المهدي	١٦٩	٧٨٥
٥ - الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدي	١٧٠	٧٨٦
٦ - الامين ابو موسى محمد بن الرشيد	١٩٨	٨١٣
٧ - المأمون ابو جعفر عبد الله بن الرشيد	١٩٨	٨١٣
٨ - المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن الرشيد	٢١٨	٨٣٣
٩ - الواثق باللهابو جعفر هارون بن المعتصم	٢٢٧	٨٤٢
١٠- المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم	٢٣٢	٨٤٧
١١- المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن المتوكل	٢٤٧	٨٦١
١٢- المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم	٢٤٨	٨٦٢
١٣- المعتز بالله ابو عبد الله محمد بن المتوكل	٢٥٢	٨٦٦
١٤- المهتدي بالله ابو اسحاق محمد بن الواثق	٢٥٥	٨٦٩
١٥- المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل	٢٥٦	٨٧٠
١٦- المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق	٢٧٩	٨٩٢
١٧- المكتفي بالله ابو محمد علي بن المعتضد	٢٨٩	٩٠٢
١٨- المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد	٢٩٥	٩٠٨
١٩- القاهر بالله ابو منصور محمد بن المعتضد	٣٢٠	٩٣٢
٢٠- الراضي بالله ابو العباس أحمد بن المقتدر	٣٢٢	٩٣٤
٢١- المتقي بالله ابو اسحاق ابراهيم بن المقتدر	٣٢٩	٩٤٠
٢٢- المستكفي بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفي	٣٣٣	٩٤٤
٢٣- المطيع لله ابو القاسم الفضل بن المقتدر	٣٣٤	٩٤٦
٢٤- الطائع لله ابو الفضل عبد الكريم بن المطيع	٣٦٣	٩٤٧
٢٥- القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحاق المقتدر	٣٨١	٩٩١
٢٦- القائم بأمر الله ابو جعفر عبد الله بن القادر	٤٢٢	١٠٣١
٢٧- المقتدي بأمر الله ابو القاسم عبد الله بن محمد	٤٦٧	١٠٧٥

الحركة القرمطية تنبع من الإسماعيلية
ثم تعلن الحرب على العباسيين والإسماعيليين والفاطميين

فيه الشاعر :

خليفة في قفص
بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له
كما تقول الببغا

أصبح الخليفة العوبة فى يد الجند من العبيد والموالى ، وأبعد العرب وأصبحوا لا يؤبه لهم وهم الذين على سواعدهم قامت هذه الدعوة الأسلامية العظيمة وهم الذين فتحوا الممالك وأسسوا هذه الخلافة التى شملت كثيرا من اقطار الدنيا تراجعوا منزوين فى صحرائهم يملأ صدورهم الحقد والغضب وينتظرون الفرصة للأنتقام [٣] .. وجاءهم البشير بأن الفرصة قد سنحت (فهذا عبدالله الأمام محمد المهدى المنصوربالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله الداعى الى كتاب الله الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله امير المؤمنين وامام المسلمين ومذل المنافقين خليفة الله على العالمين وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين ومبيد الملحدين وقاتل القاسطين ومهلك المفسدين وسراج المبصرين وضياء المستضيئين ومشتت المخالفين والقيم بسنة سيد المرسلين وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطيبين [٤] يدعوكم لما فيه خير الدارين فلبوا دعوته وامشوا فى ركابه وأتمروا بأمره يهديكم سواء السبيل [٥]

فوجدت الدعوة المناخ الملائم لها فى البادية بين بعض مشايخ القبائل الذين أمدوا الدعوة بالجند وفى القرى انتشرت

---

(٣)وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا فى استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبيته بالموالى والمصطنعين فيقول اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته لأنهم اعوانه على الطلب وشركاؤه فى الأمر فاذا ظهر الأستبداد عنهم والأنفراد بالمجد صاروا من بعض اعدائه واحتاج الى مدافعتهم بأولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم فيقرب الموالى واهل الأصطناع ويقلدهم المناصب فيستبدون دونه وتفسد العصبية ويحل المرض بالدولة فتهرم وتزول .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جزء ٦ ، ص ١٠٦

(٥) من تعاليم القرامطة : لا تبذروا بذوركم فى أرض سبخة ، أى لا تظهروا دعوتكم عند من لا تؤثر فيهم فتكونوا كالذى يبذر فى أرض سبخة .

بين الفلاحين الذين امدوا الدعوة بالمال فأكتملت عناصر الثورة القائد المقدس المطاع بين اتباعه والمال والجند يسند ذلك ويؤيده النصر فى بداية المعارك التى خاضوها ، وقد طلع عليهم امامهم الشيخ بمعجزته وهى انه اذا مد يده الى الجهة التى فيها جيش اعدائه انهزم ذلك الجيش ببركته .

وهكذا اصبحت طاعة جنده طاعة عمياء ، ويدلنا على ذلك ما ذكره ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٩٠هـ عن طبيب يدعى ابا الحسين قال بعد ما هزم القرمطى صاحب الشامة وادخل بغداد اسيرا مع جملة من اتباعه جاءتنى امرأة وقالت اريد ان تعالج جرحا فى كتفى فقلت ههنا امرأة تعالج النساء فأنتظريها فقعدت باكية مكروبة فسألتها عن قصتها قالت كان لى ولد طالت غيبته عنى فخرجت أطوف عليه البلاد فلم اره ، فخرجت من (الرقة) فى طلبه فوقعت فى معكسر (القرمطى) أطلبه فرأيته وشكوت اليه حالى وحال اخوانه فقال دعينى من هذا اخبرينى ما دينك فقلت اما تعرف دينى ؟ فقال ما كنا فيه باطل والدين ما نحن فيه اليوم فعجبت من ذلك وخرج وتركنى ووجه بخبز فلم أمسه حتى عاد فأصلحه ، واتاه رجل من أصحابه فسألنى هل أحسن من امر النساء شيئا ؟ فقلت نعم فأدخلنى دارا فاذا امرأة فقعدت بين يديها وجعلت اكلمها ولا تكلمنى حتى ولدت غلاما فأصلحت من شأنه وتلطفت بها حتى كلمتنى فسألتها عن حالها فقالت انا امرأة هاشمية اخذنا هؤلاء الأقوام (تعنى القرامطة) فذبحوا ابى واهلى جميعا وأخذنى صاحبهم فأقمت عنده خمسة أيام ثم أمر بقتلى فطلبنى منه اربعة أنفس من قواده فوهبنى لهم وكنت معهم فوالله ما أدرى ممن هذا الولد منهم ، قالت فجاء رجل فقالت لى هنيه فهنيته فأعطانى سبيكة فضة وجاء آخر وآخر اهنىء كل واحد منهم ويعطينى سبيكة فضة ثم جاء الرابع ومعه جماعة فهنيته فأعطانى ألف درهم ، وبتنا فلما اصبحنا قلت للمرأة قد وجب حقى عليك فالله الله خلصينى ، قالت ممن اخلصك ؟ فأخبرتها خبر ابنى فقالت : عليك بالرجل الذى جاء آخر القوم فأقمت يومى فلما امسيت وجاء الرجل قمت له وقبلت يده ورجله ووعدته انى اعود بعد ان اوصل ما معى الى اولادى ، فدعا قوما من غلمانه وأمرهم بحملى الى مكان ذكره وقال اتركوها فيه وارجعوا فساروا بى عشرة فراسخ فلحقنا ابنى فضربنى بالسيف وجرحنى ومنعه القوم ، وساروا بى الى المكان الذى سماه لهم صاحبهم وتركونى وجئت الى هنا ، قالت ولما قدم الأمير بالقرامطة وبالأسرى رأيت ابنى فيهم على جمل عليه برنس وهو يبكى فقلت : لا خفف الله عنك ولا خلصك [٦] .

---

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جزء ٦ ، ص ١٠٥ .

اوردنا هذه القصة لتعطى القارىء فكرة عما اشرنا اليه في بداية البحث حول لجوء بعض الكتاب الى المبالغات مما يجعل المصادر رغم كثرتها قليلة الجدوى وذلك لأن النظرة السريعة للقصة التى اوردها ابن الأثير تدل على أن أجزاء كبيرة منها من نسج الخيال فالكثير من وقائعها لا يتسق مع الصورة التى حكيت بها بالاضافة الى المصادفات التى تكاد تكون من المستحيلات .

لم يسعف الحظ (زكرويه) وابناؤه طويلا فقد قضي على فتنتهم وقتل ابناؤه ثم قتل هو بتاريخ ٢٩٤ للهجرة . اما ابو سعيد الجنابي في البحرين فقد أسس دولة امتدت من البصرة الى عمان تعاقب عليها ابناؤه من بعده كما اسلفنا واستمرت زهاء قرنين من الزمن من سنة ٢٨٦ هـ الى ٤٤٦ هـ .

عندما استتب للقرامطة الأمر في البحرين وأسسوا دولتهم ظهروا على حقيقتهم وسنوا مبادئهم الدينية وهي محاربة الاسلام ، فقاموا بهدم المساجد التى تشتمل عليها دولتهم ودليلنا على ذلك ما ذكره ناصر خسرو الذي زار الاحساء في عام ٣٤٣ هـ الموافق ٩٥٤ م قال ليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة حتى مر بها رجل اعجمي يسمى علي بن احمد يحمل الحجاج الى مكة وكان ثريا فبنى بها مسجدا .

وفي آخر ايامهم استأذنهم (العوام بن محمد بن يوسف الزجاج) الملقب (ابي البهلول) (٧) ان يبنى مسجدا في (أوال) ودفع لهم مقابل ذلك ثلاثة الاف دينار ، وبعد ان تم المسجد واقيمت فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله (٨) حاولوا منعه ولكنه زاد هداياه لرؤسائهم فأبقوه .

وقد قال ابن المقرب العيوني في ذلك :

وما بنوا مسجدا لله نعرفه
بل كلما وجدوه قائما هدما

الهجوم على مكة

وفي سنة ٣١٧ هـ الموافق ٩٢٩ م قرر (سليمان ابو طاهر) ان يضرب الاسلام في اقدس مقدساته فجهز جيشا وخرج من الاحساء لا يعلم احد وجهته ، ثم اتجه الى مكة ووصلها يوم التروية وهو الثامن من شهر ذي الحجة فخرج اليه امير مكة ووجهاؤها يستعطفونه ويحاولون اقناعه بعدم مهاجمتها واغروه بالمال والهدايا الثمينة فلم يفلحوا في ذلك فهاجمها بجيشه واخذ جنوده يقتلون أهاليها ومن كان فيها من الحجاج من رجال ونساء وهم متعلقون بأستار الكعبة ، وردم بهم زمزم وفرش المسجد بجثثهم وقتل في طرقات مكة وشعابها

---

(٧) ابو البهلول هو الذى استولى على أوال منهم بعد ذلك وطردهم منها .

(٨) الخليفة العباسى القائم بأمرالله تولى الخلافة (٤٢ هـ وتوفي سنة ٤٦٧ هـ) .

ثلاثين الفا وكان اشد المهاجمين قسوة وأقلهم رحمة أبوطاهر نفسه فأخذ يتنقل بين جنده من مكان الى مكان ويصيح اجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار ودكوا اركان الكعبة واقتلعوا الحجر الاسود حتى لا يبقى منها أثر وهو يرتجز ويقول :

انا لله ولله انا
يخلق الخلق وأفنيهم انا

وبقوا في مكة اثنى عشر يوما يقتلون وينهبون كل ما وصلت اليه ايديهم ، ورجع الى الاحساء بغنائمه الكثيرة وبسباياه من النساء (وبالحجر الاسود) [9] فداهمته قبيلة هذيل في الطريق وحررت كثيرا من سباياه .

لقد كانت تلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها ولم يستطع الخليفة المقتدر الذي عزل في تلك السنة ثم اعيد الى الخلافة بعد يومين من عزله ان يعمل اي شيء ، حيث لم يبق للخلفاء العباسيين غير الالقاب الرنانة .

خليفة مات لم يأسف له أحد
وقام أخر لم يفرح به أحد
فمر ذاك ومر الشؤم يتبعه
وقام هذا فقام النحس والنكد

مضت سنة على هذه الفجيعة النكراء ولم ير القرامطة من يحاسبهم على فعلتهم فقرر ابو طاهر ان يتحرك واحتل عمان عام ٣١٨ هـ الموافق ٩٣٠ م وفي السنة التى تلتها ٣١٩ هـ اغار على الكوفة وهدد بغداد ثم رجع الى بلاده وهو ينشد :

اغركم مني رجوعي الى هجر
فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
اذا طلع المريخ من أرض بابل
وقارنه النجمان فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور في الكتب كلها
ألست أنا المنعوت في سورة الزمر
سأملك أهل الارض شرقا ومغربا
الى قيروان الروم والترك والخزر

ولما رجع ابو طاهر من غزوة الكوفة كان محملا بالغنائم والسبايا والاسرى .

وكان بين الاسرى رجل من خراسان يدعي زكرى الخراسانى وكان من نصيب أحد رؤساء القرامطة فأراد استخدامه فأمتنع الخراساني واسمعه كلاما لا يصدر عن شخص عادى فتوقف عن استخدامه وانهى خبره الى ابي طاهر فاحضره من وقته وخلا له وسمع كلامه وأبان له من أسرار مذهبهم ومن الامور التى لايعلمها الا الخاصة الشيء الكثير فأفتتن به ابو طاهر وأمر اصحابه ان يطيعوه وحمله في قبة وسترة عن الناس وشغل خبره القرامطة واعتقدوا انه يعلم الغيب ويطلع على ما في صدورهم وضمائرهم واخذوا يعبدونه ويطيعونه في كل ما أمر ، فاخذ يأمر الاخ بقتل اخيه فيمتثل له وأحدث بينهم فتنة عظيمة كانت من الاسباب التى اضعفتهم .

ومما تقدم نستطيع ان نقول ان معتقدات القرامطة الدينية تقوم على مايلي :

---

(٩) زعم القرامطة ان الحجر الأسود مغناطيس يجذب الناس اليه من اطراف العالم . انظر ناصر خسرو ، ص ١٤٤ ، تحقيق الدكتور يحيى الخشاب .

١ ـ محاربة الاسلام بهدم اركانه .
٢ ـ الايمان بالخرافات والدجل .
٣ ـ الاعتقاد بالتنجيم والنجوم .
٤ ـ القتل والهدم والسلب والاباحية .
٥ ـ التذبذب الديني ، فبينما يخيل اليك انهم عقلانيون اي يحكمون العقل في امورهم تراهم في مواقف اخرى يصدقون الخرافات والأمور التى لا يقرها العقل .
٦ ـ وقد ذكر المؤرخون ان كل شيء عندهم مشاع الا السيوف .

«الحياة الادارية والاجتماعية والاقتصادية »

يرأس القوة التشريعية والتنفيذية للقرامطة مجلس العقدانية ويتألف من ستة اشخاص من اصحاب الدرجات العالية وممن يثق بهم ابو طاهر ، ولهؤلاء الستة ستة وكلاء يجلسون وراءهم ويرأس الاجتماع اما ابو طاهر او صهره وهو اخ امرأته ابو محمد سنبر واذا تغيب الوزراء ناب عنهم الوكلاء . وهذا المجلس يسوس البلاد ويحل كل ما يعرض عليه من الأمور .

ميزانية الدولة تتكون من الضرائب التالية »

١ ـ ضريبة على المراكب التى كانت تمخر الخليج .
٢ ـ ضريبة على مقاطعة عمان بعد احتلالها .
٣ ـ ضريبة على الغوص (أي صيد اللؤلؤ « .
٤ ـ ضريبة على الحجاج الذين يؤمون الحرمين كل سنة .
٥ ـ اعشار تؤخذ على الاراضي الزراعية .
٦ ـ غرامات تدفعها مدن العراق وقراه كل سنة لدفع شرهم (١٠) .

وكانت ميزانيتهم السنوية تقدر بمليون ومائتي الف دينار غير ما يحصلون عليه من التجارة ومن غنائم الحروب ومن المزارع الخاصة بالدولة .

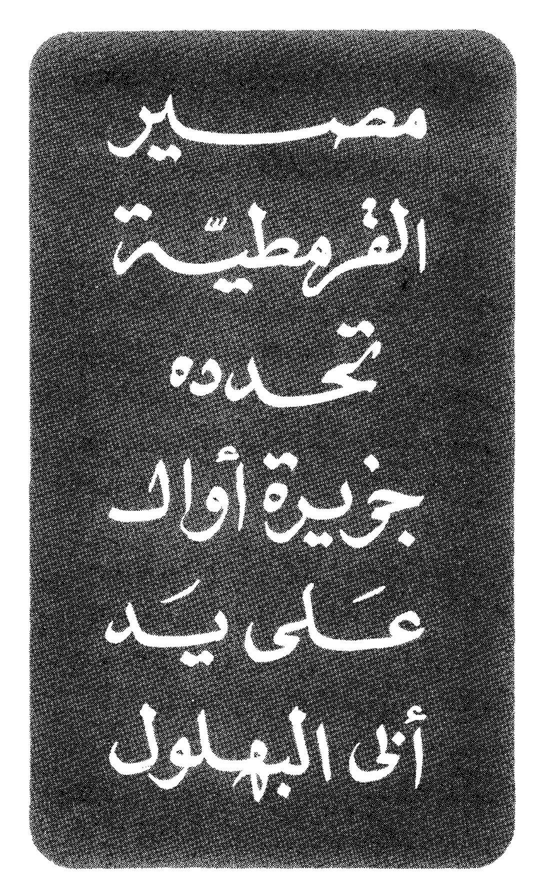
كتب ناصر خسرو في رحلته انه رأى ثلاثين الفا من الزنوج يشتغلون في الحقول والبساتين على حساب العقدانية وهي الحقول الخاصة بالدولة .

اما التجارة الخارجية فكلها كانت في يد الدولة . وكانوا يشجعون الصناعات والحرف بمد اصحابها بالقروض والمساعدات . وكانت صناعة الورق الجيد مزدهرة في الاحساء وكانوا ينسجون بعض الانسجة ويصدرون الاوراق الى الخارج وكانت الطواحين الكثيرة مقامة على مجارى مياه العيون وتدار بجريان الماء . كما حصنوا الاحساء تحصينا قويا باربعة اسوار بين كل سور والآخر فرسخ (١١) والميزانية كان يصرف منها على الخدمات العامة والاسلحة وتجهيز الجيوش ومساعدة

---

(١٠) بندلى جوزى . تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، ص ١٩٦ ، انظر سفرنامه ص ١٤٣ ، وتحفة المستفيد ١/ ٩٧ .

(١١) الفرسخ : ثلاثة اميال ، والميل اربعة آلاف ذراع فالفرسخ ١٢ الف ذراع قيل بالذراع المرسلة تكون بذراع المساحة وهى ذراع الهاشمية وهى ذراع وربع بالمرسل ٩٦٠٠ ذراع . انظر ياقوت ١/ ٣٨ .



السكان وكان البيع والشراء والعطاء والاخذ يتم بواسطة رصاص في زنابيل يزن كل منها ستة الاف درهم فيدفع الثمن عددا من الزنابيل وهذه العملة لا تسرى في الخارج .

والادب والشعر كانا مزدهرين بينهم ، وسبق ان ذكرنا عدة ابيات لابي طاهر ولكنك تجد الأصالة والروح العربية البدوية في شعر الاعصم حيث يقول :

يا ساكن البلد المنيف تعززا
بقلاعه وحصونه وكهوفه
ما العز الا للعزيز بنفسه
وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقبه بيضاء قد ضربت على
شرف الخلال لجاره وضيوفه
قرم اذا اشتد الوغى اردى العدا
وشفى النفوس بضربه وزحوفه
لم يجعل الشرف التليد لنفسه
حتى افاد طريفه بتليده

او عندما يقول :

اني امرؤ ليس من شاني ولا اربي
طبل يرن ولا ناى ولا عود
ولا ابيت على خمر ومخمرة
وذات دل لها غنج وتاويد
ولا ابيت بطين البطن من شبع
وجار بيتي خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع
يوما ولا غرني فيها المواعيد

نهاية القرامطة

اضمحل أمر القرامطة بعد موت الاعصم عام ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م ولم يظهر لهم اي غزو بعده الا ما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م قال في هذه السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان (في جمع كثير) وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم وكان لهما من الهيبة لدرجة ان عضد الدولة وبختيار اقطعاهما الكثير وكان نائبهما ابو بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة (١٢) فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما

(١٢) صمصام الدولة ابو كاليجار بن عضد الدولة تولى بعد موت ابيه ولقب بصمصام الدولة عام ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م .

صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما فذكرا أن القبض على نائبهما هو السبب في قصدهما بلاده وبثا أصحابهما وجبيا المال . ووصل ابو قيس الحسن بن المنذر الى الجامعين وهو من اكابرهم فارسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات اليه وقاتلوه فانهزم عنهم وأسر ابو قيس وجماعة من قوادهم فقتلوا ، فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة فألتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين ايضا فانجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم فلما بلغ المنهزمون الى الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر الى القادسية فلم يدركوهم وزال من حينئذ ناموسهم . هذه الهزيمة اطمعت الناس في القرامطة ، ففي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م جمع شخص من بني المنتفق يعرف (بالاصفر) (١٣) جمعا كثيرا وأغار على القرامطة وهزمهم وأسر وقتل منهم الكثير وتبعهم الى الاحساء فتحصنت القرامطة بحصونها (١٤) .

فأغار على القطيف واخذ ما كان فيها من عبيدهم واموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة وهكذا دب الضعف والخلاف بين القرامطة وتفككت وحدتهم مما اطمع فيهم قبائل البحرين وحاولوا التخلص من نفوذهم وبدأ التمرد والثورات تتوالى عليهم ، ففي البحرين ثار عليهم آل الزجاج بقيادة العوام بن محمد بن يوسف الزجاج الملقب بأبي البهلول .

امارة بني الزجاج (١٥) :

جاء في شرح ديوان ابن مقرب :

حديث ملك ابي البهلول جزيرة أوال :

وابو البهلول اسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج من عبد القيس ، وكان ضامنا لخراج أوال من والى القرامطة وكان له اخ يقال له مسلم يكنى بأبي الوليد ، وكان خطيب أوال وهو من اهل الدين والمتظاهرين بالسنن انهم بذلوا للقرامطة على يد جعفر بن ابي محمد بن عرهم وهو الناظر يومئذ بجزيرة أوال للقرامطة ثلاثة الاف دينار على تمكنهم ان يبنوا جامعا ليجتمع فيه العجم

(١٣) في بعض النسخ (الأصيفر) .

(١٤) كانت مدينة الاحساء محصنة تحصينا قويا فقد ذكر ناصر خسرو في رحلته قوله (دخلت الاحساء في آخر سنة ٣٤٢ هـ/٩٥٣ م وكانت الاحساء سوادها وقراها محاطة باربعة اسوار بين كل سورين فرسخ (ثلاثة اميال) وفيها ينابع المياه العظيمة يدير كل نهر خمس طواحين ويوجد فيها كل ما يوجد في البلاد المتمدنة وليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة ، حتى مر بها رجل اعجمي يسمى احمد على يحمل الحجاج الى مكة وكان ثريا فبنى بها مسجدا وتصنع بها القراطيس الجيدة وتحمل الى البصرة والبلاد الأخرى وتباع فيها جميع لحوم الحيوانات حتى الكلاب والحمير ويوضع راس الحيوان عند لحمه وكانت العملة التي يتعاملون بها من الخزف .

(١٥) الأستاذ حمد الجاسر . من تاريخ جزيرة اوال (البحرين) . مجلة العرب ص ١٦١ ج ٣و ٤ س ١٦ . الرياض . رمضان وشوال ١٤٠١ هـ .

والمسافرون اليهم فأنهم نافرون من خلو البلد من جامع تصلى فيه الجمعة وهم خائفون من انقطاعهم لذلك عنهم بالجملة .

وذكر ان هذا مما يجلب العجم الى جزيرتهم ، ويضاعف لهم الفائدة في معاملتهم ومبايعتهم وكتب ابن عرهم الى القرامطة لذلك واستأذنهم فيما قالوا ، فأجابوه بان يأخذ منهم ما بذلوه ويفسح لهم فيما التمسوه فاعطوه ما ضمنوا له وتشاغلوا ببناء الجامع الذي ذكروا فلما تم بناؤه صعد ابو الوليد على بن الزجاج المنبر وخطب للخليفة القائم بأمر الله وصلى الجمعة ، ففال من يهوى القرامطة هذه بدعة قد احدثها بنو الزجاج بالحيلة والخداع ويجب ان يمنعوا من الخطبة ولا يمكنوا من صلاة الجماعة فلما خوطبوا عن ذلك قالوا : ما بذلنا ولا سلمنا اموالنا الا لهذا الأمر ، ولأجل هذا الدين قصدنا ولاستجلاب العجم الينا وارغابهم في معاملتنا فان كرهتموه فردوا علينا ما اخذتموه منا ونحن نمسك عما قصدناه ، وان نقصت به معاملتنا ونقصت به فائدتنا فكتبوا الى القرامطة بالحال فأجابوا بان لايعترضوا في مذهبهم ولا يمتنعوا عن خطبتهم فجروا على سنتهم وصار لهم بما فعلوه السوق الكبيرة والفائدة الكثيرة ، لان اكثر تلك النواحي الى ذلك مائلون وبه متدينون واتفق ان اعترض المخالفون لهذا المذهب ابا الوليد بن الزجاج ومنعوه من الخطبة وقالوا له : الذي كنت تخطب له قد بطل وصارت خطبة العراق للمستنصر بالله ـ صاحب مصر ويجب ان تكون الخطبة له دون من بطل حكمة فامتنع عن ذلك ، وانفذ ابو البهلول الى القرامطة هدية قرنها بالمسألة لهم في اجرائهم على رسمهم من غير تغيير لعادتهم فرجع الجواب بأن لا يغير لابي البهلول رسم ولا يفسخ له شرط وليخطب اخوه لمن شاء واحب .

وكان ابن عرهم معينا لهم وكتبه ماضية الى القرامطة بما يحسن فعلهم ويبلغهم املهم ومضت على ذلك مديده وابو البهلول يزيد امره وينمو ويقوى ويعلو وكتب القرامطة الى ابن عرهم بتقسيط يضعه على اهل البلد ويحمله اليهم فلحسن سيرته فيهم ولجميل طريقته معهم استدعى ابن عرهم ابا البهلول ومن يجرى مجراه واطلعهم على ما ورد عليه ووافقهم على النفور عنه واذا خاطبهم بالتقسيط المتقدم يمتنع جانبهم منه حتى يجعل ذلك سببا يعتذر به الى القرامطة ففعلوا .

وكتب الى القرامطة باضطراب القوم عليه وانه لم يمكنه مخاشنتهم فكف عنهم وقال : الأمر اليكم في ذلك فغاظهم فعلهم وفعله . فأنفذوا بمن عزله وتولى عليهم بدله وامروه بالقبض على من له مال ومصادرتهم على ما اقدموا عليه من عصيانهم واستعملوا من اشناعهم فجمع ابو البهلول اهله وعشيرته واقاربه ومن وثق به وانس اليه من متقدمي البلد وعرفهم ما ورد في معناهم فلما عرفوا ذلك خافوا فعاهدهم على ان يسمعوا له

ويطيعوا . وقال لهم : لا يتم لنا الامر الا بأبي القاسم بن ابي العريان فقالوا له : افعل ما ترى فقد رددنا أمرنا اليك فقام بهم اليه وحكى له مثل ما حكى لهم وقال : هـؤلاء القوم قـد حضروا وسمعـوا لي واطاعـوا ، وانـا لا اصلح لذلك الا ان تدخل فيه معي وتكون يـدى ويدك فـان فعلت تعاضدنا وتساعدنا وحمينا انفسنا واموالنا هـذا وقد بنـوا القول عـلى الا يطيعوا القرامطة الا بعد اعادة ابن عرهم وان يحفظوا انفسهم من الناظر مكـانه فحالفم ابن ابي العريان على ذلك واخذ هو وابو البهلول في استـدعاء متقـدمي الضياع والسواد واظهارهم على ما فعلاه وادخالهم فيما اعتزما عليـه ، فما منهم مخـالف لهما ولا ممتنـع عليهما إيثـارا لعودة ابن عرهم . ممن يتولى مكانه وقال لهم : الخراج موقوف على اربـابه وغـير مأخوذ فان رجع ابن عرهم سلم اليه والا فليفر كل منكم بما عليه فسروا بهذا وكان اكبر الاسباب في اتساق الامر .

وحصل معهما نحو ثلاثين الف رجل وعلم الوالي الجديد فاهتم من ذلك فجمع اليه من يتعلق به واعتزم على ان يقبض على ابن ابى العريان وعلى ابي البهلول بغته فعاجلاه بالرجـال وراجعاه للقتـال فهرب الى الشدات (السفن) وانصرف عنهما بعد ان قتل من اصحابه عدة رجال وكتبـا الى القرامـطة بأننـا لا نعود الى الطاعة ولا نرجع عن المخالفة الا بعد رد ابن عرهم الينا ويكون نظره علينا فورد الجواب اليهما بالصعب الاشد وبان لا سبيل لابن عرهم الى العودة وان العساكر تجيئهم وتتحكم فيهم فأنفذ ابو عبدالله بن سنبر وزير القرامطة بعض اولاده الى عمان لحمل مال وسلاح من عمان فعرف ابو البهلول وابن ابي العريان ذلك فكمنا له في عودته من عمان وقتلاه وقتلا معه اربعين رجلا صبرا بين ايديهما واخذا ما صحبه وكان خمسة الاف دينار وثـلاثة الاف رمح ففرقاها في رجالهما وبلغ الخبر ابن سنبر بما جرى فعدل الى مكاتبة ابن ابي العريان سرا وبذل له البذل الجزيل ووعده الوعد الجميل وان يوليه الجزيرة ويمكنه منها فمال ابن ابي العريـان الى ذلك واجاب بالسمع والطاعة والانحيـاز عن الجماعة واشار بانفاذ عسكر في البحر الى الجزيرة فاذا قرب منها العسكر وثب هو على ابي البهلول فقتله وقال لاصحابه وعشيرته هذا الذي نحن فيه أمر لا يتم ومالنا بالقرامطة قدرة ولا في ازالة ملكهم حيلة ونحب ان ندبر أمرنا بغير ما دبرناه ونعجل تلافي ما فرطنـا فيه ، فقـالا له : الامر لك ونحن معك واتفق مع قومه على فسخ ما استمر ونقض ما استقر وعرف ابو البهلول الحال فـانزعـج من ذلك ثم جمع اهله وأقاربه فاطلعهم على ذلك الأمر وقال لهم :

مالنا قدرة بأبن ابي العريان الا بوجه لطيف لانه اقوى منا جانبا واكثر رجالا وهو ان ترصدوا منه فرصة تنتهزونها في قتله والا فهو آكلنا ومتقرب بنا .

وقـرر ابو البهلول مـع ابن عم ابي العريان وابن عم ابي القـاسم قتل ابن

ابي العزيان وتفرقوا على ذلك .

ثم ان ابا العريان مضي في بعض الليالي الى عين (بوزيدان) يغتسل فيها ومعه غلام له فقصداه ومعه ابن عمه فقتلاه وقتلا غلامه وقت عتمة وتأخر ابن ابي العريان عن اهله واصحابه فأنثنوا في طلبه فوجودوه مقتولا فجاءوا الى ابي البهلول فاتهموه بقتله وطالبوه بدمه فحلف لهم اربعين يمينا انه ما قتله وارضي وجوههم بما كان له من المأكل فاغمضوا عنه ورضوا .

وجاء ابو عبدالله بن سنبر بنفسه على ما استقر بينه وبين ابن ابي العريان في مائة وثمانين شدة (سفينة) بها من عامر ربيعة خلق كثير (١٦) (والمشهور ان قائد هذا الجيش بشر بن مفلح العيوني) (١٧) وجمع ابو البهلول الشدات الذي له ونزل على حاله فلما التقى الفريقان كانت شدات (١٨) ابي البهلول مائة قطعة قد شحنها بالرجال وكان عند نزوله الى الشدات قد وقع عن الفرس فانكسرت ساقه واجتهد به اخوه ان يرجع فلم يفعل وتقدم وأمر برفع الاعلام وضرب الدبادب والبوقات فاتفق من اتفاق السوء لابن سنبر ان حط معه في الشدات خمسمائة فرس ، اكثرها لعامر ربيعة تصورا منه دخول البلد من غير حرب ولم يشعر بما حدث لابن ابي العريان وتحدد فلما سمعت الخيل ضرب الدبادب والبوقات ورأت المطارد والعلامات وهي خيل بدوية نفرت فغرقت بعض الشدات ووقع العرب في البحر وهرب ابن سنبر الى الساحل واستولى ابو البهلول على بقية الشدات واخذ منهم نحو من مائتى فرس وشيئا كثيرا من السلاح واستأمن اليه من كان فيها من اهل السواد وحلفوا ان ابن سنبر اخذهم قهرا لا ايثارا ، وقصرا لا اختيارا وظفر باربعين رجلا من اصحاب القرامطة فقتلهم .

وأعاد وقد ثبتت قدمه وقوى امره وتم غرضه وحسنت حالته الى اخيه ابي الوليد وزارته وكتب الى ابن ابي المنصور يوسف صاحب ديوان الخلافة (١٩)

نسخة كتاب ابي البهلول الى ديوان الخلافة .

---

(١٦) ن . ف . م ، ص ١٦٥ .

(١٧) ديوان ابن المقرب .

(١٨) الشدات : وهى سفن تصنع من الخشب الذى يشد بالحبال قبل استعمال المسامير .

(١٩) ويدعوه ابن كثير بالشيخ الاجل وهو عبدالملك بن محمد بن يوسف بن منصور المتوفى ٤٦٠ هـ . انظر : البداية والنهاية ، ج ١٢ . ص ٩٧ . طبع بيروت ١٩٧٨ م . اما ابن الاثير فيذكره باسم ابو منصور بن عبدالملك بن يوسف الشيخ الاجل حيث يقول (ولم يلقب فى زمانه احد سواه بالشيخ الاجل) انظر الكامل فى التاريخ . ج ٨ . ص ١٠٦ . طبع بيروت ١٩٧٨ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

اطال الله تعالى بقاء الشيخ الاجل الاوحد وادام تمكينه ورفعته وعلوه وقدرته وبسطته وحرس ايامه ونعمته وكبت عدوه وخذل حسدته .

من المستقر بجزيرة أوال لسبع بقين من ذى القعدة [٢٠] .

والسلامة مستدرة الاخلاف والنعمة مستقرة الائتلاف ببركته وبيمن طائره والحمد لله حمدا يرضيه ويستمد المزيد من مواهبه ويقتضيه والصلاة الدائمة على نبيه محمد المصطفي وعترته الطاهرين . ولا يخلو ناقل علم وخبر وحامل فهم واثر من المعرفة بمن اجاب داعي الله واطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتخذ طاعته شعاره وتلى فيها لذات الله اخباره وكان ممن صفت سريرته وخلصت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم طويته وهاجر من وطنه اليه وقدم من مستقره ومسكنه عليه ، مع الفئة الهجرية والفتية القطرية من آل عبد القيس ذوى الحفيظة والحمية والنفوس العزيزة الابية قطعوا اليه المفاوز والقفار وواصلوا نحوه سير الليل بالنهار له طائعين ولأمره تابعين ولدينه راضين وللاسلام قابلين وباعوا انفسهم لله تعالى بين يديه مجاهدين ولثوابه محتسبين ولجزائه يوم الدين راجين ثم نصروا من بعده الخلفاء الراشدين والائمة المهديين ولم يزالوا بالدعوة العباسية قائلين ثبت الله اركانها ، وقرن بالخلود سلطانها ولدعاتها محبين ولكلمتها معلين طوى على ذلك الاعمار منهم السلف بعد السلف واخذ بحميد اثرها منهم الخلف بعد الخلف حتى ظهر ذلك الملعون الصابى (ابو سعيد الجنابي) فشهر الدعوة القرمطية وبدل الشريعة الحنفية واستغوى من شايعه واستهوى الذى اطاعه وبايعه ومال بهم عن الطريقة الاسلامية بالزخاريف الكاذبة المتمرتحية واشتدت بالفئة الباغية شوكته وكثرت في الفرقة المسلمة فتنته وفشت فيهم نقمته فقتل الابطال واستباح الاموال وخرب المساجد وعطل المنابر والمشاهد وبدل القرآن ومال به عن طريقه في البيان والبرهان وحملة داعية من الكفر والطغيان على ان جمع العدد الجم من الحجاج والمصاحف التى كانوا يتلون فيها بموضع من جانب بالاحساء يعرف بالرمادة الى الان فأضرم فيها وفيهم النار ولم يكن لهم منه ومن تعذيبه انصار .

ثم اخذ مأخذه ولده المعروف (بأبي طاهر) وقصد مقصده وبلغ من الكفر غايته وامده فسار الى البلاد واوسع فيها غاية العبث والعناد حتى هجم على بيت الله الحرام وقتل به سائر المجاورين ومن يتسمى بالاسلام وسلب الكعبة نفيس ما عليها واستخرج منها ذخائرها التى كانت

(٢٠) ويمكن تحديد السنة فى العقد السادس من القرن الخامس الهجرى حيث توفى الشيخ الاجل الذى كتبت له الرسالة وهو ابو منصور بن يوسف .

تجمعها وتحويها واقتلع الحجر الاسود مجاهرا بالكفر والعناد واراد ان ينصبه في كعبة بناها لنفسه في جانب القطيف المعروف بارض الخط فكان كلما اثبته في كير منها نهاره وظن انه قد اخذ مستقره وقراره اصبح في اليوم الثانى مباعدا عنها .

ثم انه حجب الدعوة الى الله سبحانه وتعالى في هذه الاقطار للشهادة بربو بيته ووحدانيته والاقرار له بذلك واوهم من والاه من حفدته حزب الشيطان وتابعه من اولى الغي والطغيان انه هو الله المدبر والخالق المصور والمقدر ، لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون .

وسيرتهم اعنى القرامطة في الفجور وتعاطي المنكر اكثر من ان احد اقلها قدرا وان ابلغ منها عشرا وهم على هذه السنة المشئومة جادين وبها آخذين والمسلم بين ايديهم يقاسي الامتحان والذل والاستهان ولم يبق بالبحرين من ينطق بالدين ويتمسك بعرى الحق المبين صابرا على كثرة الأذى يسأل الله تعالى اماطة البلا غير هذه الجزيرة المعروفة بأوال يدفعون طامي شرهم وداعي اذاهم وضرهم بالتى هي احسن وان لم يكن في ذلك نيلا يستهون وكانت الايام تنطوى وتمضى والسنون تندرج وتنقضي والقرمطي في قوة من مملكته وشدة من سلطنته متمكنا من اغراضه وطلبته نحو مئة واربعين سنة منذ ملك هذه الجزيرة بفرعنته آمنا في ذلك كله من مقاوم يزاحمه ومضاد يضادده وكلما رأي رأسا ذا حال وجاه ومال يتوسم فيه امارة الشهامة ويدل على سكته الصرامة والزعامة قتله وبالهلاك بدره وعاجله حتى لان حبل دولتهم واضطرب ووهي ركن مملكتهم وكثرت منهم الاطماع في الارواح والاموال واستصفاء الاملاك والاحوال .

وكنت ارصد الوقت الذي جاء حينه اغمز قناتهم واقرع عند اوانه صفاتهم فنهضت متعصبا للدولة العباسية والدعوة الهاشمية ـ ادامها الله مادام الديموم وازهرت النجوم ـ منتصرا لدين الله تعالى ومعيدا ما طمس من شرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعثت الى من بهذه الجزيرة المعمورة من ولد عبد القيس اعزهم الله على التوازر والتظاهر والتناصر في ذات الله وطلبا لما عند الله (وما عند الله خير للابرار) فاقبلوا نحوى داعين ولقولي مطيعين والى ندائي مبادرين فطردنا من كان عندنا من ولاة القرامطة بعد خذلهم ومن يقول بقولهم ويتمذهب بمذهبهم ولم يبق بهذه الجزيرة ـ حماها الله تعالى ـ ناظر يلي امرها ولا آمر ولاناه يديرها .

وتصور من بها ان لابد لهم من زعيم يلي امرهم ويسدد لما فيه استقامتهم وصلاح امورهم وقد تحققوا انني انهضهم بالاكفاء وبالاعباء واقومهم طريقة الى تهذيب الآراء واكثرهم طلاقة واوفرهم ديانة وعفافة واعرفهم بمصادر الترتيب وابصرهم بموارد التصعيد والتصويب .

فاجتمع رأيهم على ترقيتي درجة

الامارة ورتبتها وتقليدى امور المحكمة وكلفتها فامتنعت من قبولها ونأيت عنها فاكثروا ترددهم الى وعقدوا خناصرهم على فالتزمتها بعد عهود اليهم عهدتها وعقود وثيقة عليهم عقدتها انهم يبذلون الارواح في سبيل الله ومجاهدة القرامطة اعداء الله . مستشعرين طاعة (الدولة العباسية) والكلمة المباركة الهاشمية مدة اعمارهم ومنتهي آجالهم وتكون طريقتهم الطاعة ومذهبهم السنة والجماعة مذهب الامام ابي حنيفة به يعرفون وعليه يحيون ويموتون مستبصرا فيما اعتمدته وتوخيته وعليه صحة نيتي ومحض عقيدتي طويته مستعينا بالله تعالى وواثقا منه بحسن المعونة على ما اولا نية وجميل المقابلة فيما انا لنيه .

فتحولت الى (دار الامارة) ومكان الايالة والاصالة .

واقيم لمولانا الامام (القائم بأمر الله) امير المؤمنين ـ اطال الله بقاه واعلى كلمته وثبت دولته في المسجد الجامع رسم الخطبة على العادة المعروفة ثم لي بعده . اذ لا جامع في هذه الاقطار كلها مع عرضها وطولها يذكر فيه اسم الله الا هو وتقام الصلوات في سواه .

وقد تجردت لمناصبه القرامطة خذلهم الله ومحاربتهم في ذات الله فعمدت الى طرف من اطراف مملكتهم يعرف بـ (العقير) وهو دهليز الاحساء ومصب الخيرات منه اليها وكثرة الانتفاعات التى جل الاعتماد عليها فخربته وبالحضيض الاسفل الحقته .

وقطعت المادة منه عنهم وضيقت فجاج ما كان يتسع لهم وما عليهم وحميت موارد ارتفاعات دورها وعدوت بالمدد الاوفي والعدد الاكفي والكماة الانجاد والحماة الامجاد الى ناحية الخط وتعرف بـ (القطيف) وقد حصل فيها صنم من اصنامهم وهو من بعض وزرائهم يعرف بابن سنبر خذله الله وخذل اشياعه واباد انصاره واتباعه ـ فقتلت عدة وافية من رجاله ، وقد استعد بخيل كن للاعراب يجعلها بينى وبينه ما لحجاب وهي حواليه تحميه من ان تخضد شوكته وتجتث اصيلته وقد اجتهدت في اجتذاب مراكب كان قد اعدها للعبور فيها الينا والانصباب بها علينا ولم يبلغ ما تمناه فينا ابدا ان شاء الله فمانع عنها بهذه الخيل ودافع بها دونها ولو كان لاهل هذه الجزيرة حماها الله مكنه او في ايديهم من المال فسحة لاكففت من جهتهم ما ارضى من الاعراب وسددت بذلك بيننا وبينهم الابواب ونزلت القرامطة بالهوادى والاعالى والقوادم والخوافي لانهم بهم يطيرون وبمكانهم يغترون وعن بابهم لا يفترون بل جهلوا ما فيها من الارتفاعات وبغته ساكنيها وقاطنيها وقت الادراك .

ولو قيض الله برحمته لنا مرتبا يرتبنا ومساعدا يساعدنا بمال ينفقه لوجه الله سبحانه وتعالى او زكاة يصرفها الينا رغبة عند الله لحططت بها اقدار هذه الكفرة وأمت بقوته اثار القرامطة الفجرة ولارضيت الاعراب المطيفين بهم المتفرقين حول بابهم .

ولســرت الى الاحســاء بــالاحشــاد والرجال والصناديـد والابطال وملكتهـا واحتويتها بلا منازلة ولا قتال وكان ذلك اقرب زلفة الى الله تعالى وافضل عنـده فيما توصل به أجنحة مجاهدى الروم .

فبـالله الذى لا اله الا هو يمينـا بره وقسمـا حقا لجهـاد القرامـطة وقتالهم افضل من قتال من ســواهم وان رشقا واحدا يرمي به في وجوههم وسهما مرسلا يصل الى رجل من عديدهم ليوزن بسبعين سهما يرمي في الهند أو الروم لانهم من ذوى الدين المذموم وفيهم تقـدم القول شعرا :

وحـرموا الصلوات الخمس في هجـر
والكفـر ينـزل والايمــان يـرتحـل

آخر غيره :

وغـير حــرام ان يــبـاح لمــعشر
اغـاروا عـلى البيت الحـرام حــريم

فهـل طائفة احق بـالمساعـدة واولى بالمرافدة والمعاونة والمماكنـة بالزكـوات والامـوال المعـدة للمثبـوتـات من هـذه الطائفة المرابطة لهؤلاء القرامطة .

وقـد تحمـل الامـوال الجـمـة الى الرباطات وسائر الثغور يطلب بها وجـه الله تعالي والنصر على عدوه وهذا والله هو الثغر الاعظم ومساعفته بما فوق المكنة او قدرها اثر واجسم وما انفق فيه الفرد من الدراهم اصاب به عند الله الفائدة واجل المغنم .

وقـد اكـدت عنـد الله النـذور ان ساعدني على ما انـويه المقـدور وكفيت هؤلاء الاعراب واقتدرت لهم على الارضاء والاستجلاب وملكت بتوفيق الله وعـزته الاحساء ووطئت ارضها واحتويت طولها وعرضها وخربت قصور القرامطة التى أسست على الصراح وعمـروها بـطاعة الشـيــطان في الامـســاء والاصبــاح واستبدلت بها جوامع ومنابر وشيـدتها بذكر الله تعالى واوضحت للحاج الى بيت الله الحرام السبيل واقمت لهم على ذلك اكرم شاهـد ودليل واظهـرت الشريعـة الاسلامية واعليت منـارها واوضحت في الايام والآنام انوارها وصرفت الاهتمام الى افتتاح البلاد التى يظهرني الله عليها ويـوصلني بركـة طاعة سيـدنا ومـولانا الامام (القائم بأمر الله) امير المؤمنين ثبت الله دعوته واعلى كلمته ـ اليها وكنت للدولة العبـاسيـة ثبتهـا الله والدعـوة النبوية أدامها الله عبدا مطيعا ، وخادما مذعنا سميعا ، وقصدت بسعودها كثيف جنـودها وخـافق بنـودهـا (الشـراة) الخوارج بأرض عمـان ومردت ، حـزب الشيطان الداعين الى امام منهم نصبوه واخـذوا مأخـذه واطاعوه واتبعـوه ولم يغادروا بعده اماما الا كفروه واطرحوه ونبذوه فاقتل بمشيئة الله وعونه محاربهم وازيلهم عن مــراتبـهم وازعـجهـم عن جوانبهم ، حتى يفيئوا الى طاعة سيدنا ومولانا الامام (القائم بأمر الله) وامير المـؤمنين ـ ادام الله ايـامه ـ وانفـذ في

الورى احكامه ويأخذوا سنتها ويسلكوا سبيلها .

ولازال العبد يتسلى الجهاد في طاعته وباذل الجهد لاشادة دعوة دولتـه حتى ينفذ أجلي المكتـوب وينقطع نيـاط نفسي ونفسي المعدود المحسوب .

وقـد انهيت هذه الاحـوال المتجددة والاسبـاب الحادثـة الى حضرة سيـدنا الاجل السيد الاوحد ـ ادام الله بسطته ـ وهـي من البـشـارة السـارة للقلوب ، القاضية لارادة المحبوب ليأخذ حظه من الابتهاج بها والاجتذال بمكانها لاسيما فيما سهله الله تعالى بلطفه في ايام سيدنا ومولانا الامام (القائم بأمر الله) امـير المؤمنين ـ اطال الله في العز الدائم بقاه ونصر جنـده ولواه ـ وكبت حسـدتـه وعداه .

وقـد مضت لهذه الدولة القـرمطيـة المشئومة مئة واحدى وسبعون سنة على عهد من سلف من الائمة وولاة العهد من الخلفاء المتقدمة ، ولم يبق احد من الملوك الماضية الارام مملكة من ممالك هـؤلاء القرامطة فعز عليه مطلبه وقد مكنني الله تعالى من بعض مملكتهم ولو يتطول على بالمساعدة والمؤازرة والمرافدة لرأيت من ذلك المقام الاشرف .

والدين النبوى المعظم نور الله بانفاذه الى سائر القـرى من مواضـع الاسلام بالمبادرة الينا والاجتماع لنصرتنا وصلة جناحنا من جهة ترجع الى مال وسلاح او عدد بالمساعدة لنا وما يتفق من الرجال ويتسهل من المال لوقـع الاستظهـار به والقـوة بمكانـه لبلغت المأمـول وادركت السول بعد ان لا يكون علينا طاعة ملتزمة الا لسيدنا ومولانا الامام القائم بأمر الله امير المؤمنـين اطال الله بقاه ونصر لواه دون من سـواه من ولاة عهده وقـائدى جنده .

وقـد انهيت هـذه الجملة التى انـا لابسها ومباشرها وممارسها الى حضرته ـ ادام الله علوها ـ لينعم اعلى الله شأنه بالوقوف عليها والانعام بانهائها الى هذا المقام الاشرف النبوى نوره الله وعظمه ـ وتشريفي بالجواب الذي ادفع بـه عني صدمة النـوائب واكتشف بمكانـه فورة الحوادث واتقدم بشرفه في الانام واتيمن بيمنه بين الخاص والعام .

وقد شافهت الشيخ الجليل ابـا يعلي ظافر بن علي الرحبي ـ ادام الله تأييده وسلمه لما يـريده بعـالي حضرتـه وعند المنزلة بسامي مـدته ـ لمشـاهدتـه بهذا المكان ما شاهده من مخالصتي وحسن طاعتي ولرأيه ـ دام عاليا ـ في استماعه واستيفاء تشريفي بالجواب عنه . بما يهز عطفي ويرفع طرفي واستنجادى بالاوامر النـامية والمـراسم العاليـة التى انتهي وابتهج بالسعي فيها من القدرة والجلال ان شاء الله تعالى .

وقد تجدد بعد الفراغ من الخدمة ما انهيـه عـلى وجـه الاختصـار وذلك ان الملعون ابن سنبر خذله الله ـ جمع رجاله وحفدته واشياعه وفرقته في العدد الكثير والجم الغفـير وشـحن بـهم الدوانـيق والمراكب وسار بهم يـريد قتـالى وهلاك

رجالي فاستقبلهم بجيوش الله ذوى الدين وصحة اليقين وهجمت عليهم في البحر فقتلت منهم اكثرهم وغرقت اوفرهم وغنم الاصحاب نصرهم الله ـ ما كان عندهم من عدة وسلاح وخيل وافلت هو من تحت القبضة هاربا بنفسه واتى القتل والاسر على وجوه جنده ورؤساء رجاله ـ لعنهم الله ـ

وطالعته بذلك لينعم بالوقوف عليه ويرى بصائب الرأى العالي امدادى بما اسير به وبقوته الى الاحساء بمشيئة الله .

وهو حسبي ونعم الوكيل وصلواته على خير خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

انتهي نص ما في الشرح المذكور .

كما ثار عليهم في القطيف (يحي بن العياش) وتمكن من دحرهم واعلن نفسه اميرا على القطيف وبعد موته تولى ابنه (زكريا) الحكم على القطيف ونشب الخلاف بين زكريا ابن العياش وابي البهلول واستطاع ابن العياش ان يهزم ابا البهلول ويضم البحرين الى امارته .

بعد ان ضم ابن العياش البحرين الى امارته طمع في احتلال الاحساء اما في الاحساء التى هي معقل القرامطة ومركز حكمهم فقد ثار عليهم فيها (عبدالله بن علي العيوني) بمساعدة ومدد الدولة السلجوقية واستطاع ان يقضي على نفوذ القرامطة نهائيا واعلن نفسه اميرا على الاحساء . ولكن زكريا بن العياش الذى استطاع ان يضم البحرين الى امارته في القطيف بعد ان قضي على ابي البهلول ركبه الغرور وطمع في احتلال الاحساء من يد عبدالله بن علي العيوني فجهز جيشا بقيادة وزيره الملقب (بالعكروت) وامره بالتوجه الى الاحساء لاحتلالها ، ودارت معركة ضارية بين الجيشين انهزم فيها جيش ابن العياش وانسحب العكروت الى القطيف فتبعه عبد الله بن علي العيوني بجيشه واحتل القطيف وانهزم ابن العياش والعكروت الى البحرين فأمر عبد الله بن علي العيوني ابنه الفضل بمطاردة فلول الجيش المنهزم وتبعهم الى البحرين واستطاع القضاء عليهم ، وتأسست بذلك دولة العيونيين على اقليم البحرين بأسره ، الاحساء والقطيف والبحرين .